هل اقتربت نهاية "جبهة فتح الشام"؟

الكاتب : حسن أبو هنية

التاريخ : 16 يناير 2017 م

المشاهدات : 4552

يبدو أن جبهة فتح الشام وهي التسمية الجديدة لجبهة النصرة وتنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الشام تسير على خطى تنظيم القاعدة المركزي وفروعه الإقليمية التي تعرضت للتفكك وفقدان الملاذات من خلال برنامج القتل المستهدف الذي تنفذه الولايات المتحدة الأمريكية عبر الطائرات بدون طيار حيث تطورت مصفوفات القتل باستهداف مجموعات منتقاة داخل النصرة توصف بالراديكالية المعولمة كمجموعة "خراسان" لتتوسع قائمة الاغتيال لتطال منظومة القيادة والسيطرة من القيادات الميدانية في مركز التنظيم في مدينة إدلب.

تسارعت واتسعت قائمة القتل المستهدف لقيادات فتح الشام في إدلب منذ بداية العام الحالي وقد تدرجت الولايات المتحدة في التعامل مع قاعدة الشام وذلك بجمع المعلومات الاستخبارية وتقسيم المنظمة إلى أجنحة وتيارات معتدلة ومتطرفة وعناصر محلية وأجنبية وتحديد خريطة الانتشار والنفوذ وعملت وأثمرت الاستراتيجية الصبورة عن خلق دينامية أفضت إلى دفع التنظيم لإعلان فك الارتباط بتنظيم القاعدة المركزي والتكيّف محليا والتخلي عن الطموحات العالمية باستهداف أمريكا والغرب والدول الحليفة ودفع النصرة إلى تكيّفات محلية وتقليص خارطة نفوذها والتخلي عن طموحاتها تدريجيا وعزلها في مناطق جغرافية انتهت إلى شبه إمارة في إدلب.

عندما تشكل التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة في أيلول/ سبتمبر 2014 للتصدي لتمدد تنظيم "الدولة الإسلامية"، بدأت استراتيجية الولايات المتحدة في التعامل مع النصرة شديدة الوضوح بتوظيفها للتصدي لتمدد تنظيم الدولة الإسلامية وخلق إيديولوجية تفضي إلى تفتيت الجهادية العالمية وتعمل كجدار إيديولوجي واق يحول دون توسع الجاذبية الإيديولوجية لتنظيم الدولة الإسلامية اللازمة للتجنيد والاستقطاب، وعملت أمريكا بداية على استهداف المجموعات والعناصر الجهادية المعولمة التي يمكن أن تسهم في أي تقارب محتمل بين تنظيم الدولة وجبهة النصرة حيث أصبحت مجموعة "خراسان" داخل النصرة هدفا مفضلا لغارات التحالف الجوية، فقد استهدفت أولى الغارات في سوريا في 22 أيلول/ سبتمبر 2014 زعيم المجموعة محسن الفضلي ثم طالت معظم قادة المجموعة بدءا من عبد المحسن عبدالله إبراهيم الشارخ المعروف بـ"سنافي النصر" ومرورا بأبي فراس السوري وصولا إلى أبو الفرج المصري رفاعي طه وأبو الأفغان المصري.

أثبتت استراتيجية القتل المستهدف عبر برنامج الطائرات بدون طيار عن نجاعتها مع تنظيم القاعدة والتي تتطلب عملا استخباريا يعتمد على شبكة من العملاء المحليين عندما تتزامن مع ديناميكية سياسية تعتمد على فصل الجماعات الموصوفة بالاعتدال عن الجماعات الموصوفة بالتطرف والإرهاب والتي تترافق مع دفع تلك المجموعات إلى التجمع في مناطق محددة جغرافيا، الأمر الذي حدث قاعدة الجهاد المركزية في خراسان عندما تمت محاصرتها في منطقة وزيرستان شمال غرب باكستان حيث تسارعت عمليات الاغتيال بعد مقتل أسامة بن لادن في أيار/ مايو 2011 وتعرضت القاعدة في وزيرستان لاختراقات كبرى وتم تصفية معظم قياداتها بدءا من أبو يحيى الليبي وعطبة الله الليبي 2012، وصولا إلى قاري عبيد الله منصور (القاري عمران) مسؤول القاعدة في أفغانستان في قصف للطائرات الأمريكية في 5 كانون ثاني/ يناير 2015، ثم مسؤول العمليات بالتنظيم، عدنان شكري جمعة، خلال عملية للجيش الباكستاني في كانون أول/ ديسمبر 2015، وبعدها مقتل المتحدث باسم تنظيم القاعدة آدم غدن المعروف بلقب "عزام الأميركي في نيسان/ إبريل 2015، من خلال طائرة من دون طيار على الحدود الباكستانية الأفغانية.

ساهم برنامج قطع الرؤوس في خلخلة الثقة بحلفاء القاعدة المفترضين وتنامي الشكوك بوجد اختراقات أمنية جسيمة على كافة المستويات التنظيمية في تنظيم القاعدة في وزيرستان وتكررت العملية مع تنظيم القاعدة في جزيرة العرب في اليمن عندما سيطر على حضرموت وذات السيناريو يعاد مع جبهة فتح الشام في إدلب وفي كل الحالات السابقة كانت الاتهامات توجه عادة إلى فصائل وجماعات معارضة لخلق حالة من التماسك، لكن ذلك يؤدي في النهاية إلى مزيد من الشكوك حول مكونات واسعة داخل تيارات القاعدة وهي تتطور أحيانا إلى حملة تطهير ضد جواسيس مفترضين، كما حدث مع قاعدة الجهاد في جزيرة العرب في اليمن بعد مقتل زعيمها أبو بصبر ناصر الوحيشي بواسطة طائرات أمريكية بدون طيار في مدينة المكلا بمحافظة حضرموت في 9 حزيران/ يونيو 2015 وتزامنت عملية اغتيال الوحيشي في مع الكشف عن مجموعة من العملاء داخل تنظيم القاعدة في جزيرة العرب ومنهم مساعد الخويطر وبحسب بيانات قاعدة جزيرة العرب فقد تسبب الخويطر بسلسلة من الاغتيالات في صفوف القاعدة في اليمن وفي مقدمتهم الشيخ حارث النظاري في 31 كانون ثاني/ يناير 2015، وكان قتل معه أيضاً في الغارة: سعيد عوض بافرج، وعبد السميح ناصر الحداء، وعزام الحضرمي، ثم قتل المسؤول الشرعي الشيخ إبراهيم الربيش 14 نيسان/ إبريل 2015، والشيخ نصر الأنس نصر الأنسي في 8 أيار/ مايو 2015، وانتهى مسلسل الاغتيالات عبر هذا الجاسوس بمقتل القيادي مأمون حاتم في 11 أيار/ مايو 2015.

لا جدال بأن جبهة فتح الشام كما هو حال فروع القاعدة لا تملك خبرة في إدارة المناطق المحررة، فالسيطرة المكانية تخلق حالة من التسيّب الأمني، وتصبح عمليات القتل المستهدف أكثر سهولة، وعمليات الاختراق أشد فعالية، بحيث باتت إدلب التي تقع تحت سيطرة التنظيم نقمة عليه، فقد تم إغتيال مجموعة من القيادات في هذه المنطقة التي يفترض أن تكون آمنة، الأمر الذي يعيد سيناريو القاعدة في وزيرستان باكستان وحضرموت اليمن.

وتيرة القتل المستهدف في صفوف جبهة فتح الشام تسارعت بصورة لافتة منذ بداية العام الحالي ففي كانون ثاني/ يناير الجاري قتل عنصران في جبهة "فتح الشام" وأصيب آخرون، جراء غارة جوية استهدفت سيارة تقلهم قرب بلدة كفرتخاريم في ريف إدلب الغربي، وكانت غارات مشابهة تسببت بمقتل 12 شخصًا على الأقل، معظمهم من جبهة "فتح الشام" أثناء مرورهم على الطريق الدولي سراقب- معرة النعمان في ريف إدلب، وأكد موسى الشامي مسؤول التنسيق الإعلامي في جبهة "فتح الشام" أن الغارات أودت بحياة القياديين أبو جعفر المصري وأبو البراء التونسي، واستهدفت طائرة دون طيار سيارتين تقلان قياديين فيها، وتسببت بمقتل 12 شخصا ومنهم: "خطاب القحطاني" سعودي الجنسية و"أبو عمر التركستاني" و"أبو مصعب الديري"، كما استهدفت طائرات حربية يعتقد أنها تابعة للتحالف الدولي، سجنًا تابعًا للجبهة بين بلدتي سرمدا

وكفردريان بريف إدلب ما أدى إلى مقتل نحو عشرين شخصًا بينهم معتقلون.

خلاصة القول أن الولايات المتحدة بدأت تعمل على التخلص من جبهة فتح الشام بعد أن بلغت عمليات الاستدخال غاياتها النهائية ووصلت الثورة السورية إلى مسارات المفاوضات الماراثونية ولم يعد بالإمكان الاستثمار أكثر في النصرة أو فتح الشام وهي تسميات مختلفة للقاعدة بحسب الإدارة الأمريكية في مواجهة العدو الأخطر ممثلا بتنظيم الدولة الإسلامية وبهذا تحولت الاستراتيجية الأمريكية من تكتيكات استهداف المجموعات الأشد خطرا كمجموعة خراسان داخل القاعدة إلى استهداف جبهة فتح الشام كجماعة بصرف النظر عن أجنحتها المختلفة.

عربي 21

المصادر: